Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 33 No.2 .2020

موقف حكومة الهند البريطانية من نشاط المكتب العربي في بلاد ما بين النهرين ١٩١٦- ١٩٢٠

أ.م. د. حسام علي محسن
كلية الآداب جامعة ذي قار

تقديم :

يتمحور هذا البحث حول مسألة أساسية غاية في الأهمية، القت بظلالها على السياسة البريطانية تجاه بلاد ما بين النهرين ، وهي الخلاف الحاد بين المكتب العربي في القاهرة بوصفه مؤسسة استخباراتية بريطانية عنيت بشكل اساسي بشؤون المنطقة العربية ، وتحديدا المشرق العربي ، وبين حكومة الهند البريطانية التي عهدت إليها الحكومة المركزية في لندن بإدارة شؤون بلاد ما بين النهرين إبان الاحتلال البريطاني لهذه البلاد ابتداء من عام ١٩١٤ .

ان هذا الخلاف نتج من تباين رؤى كل من المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية، فبينما كان المكتب العربي يسعى إلى إقامة حكومة عربية في منطقة المشرق العربي تحتل فيها بلاد ما بين النهرين مركز الصدارة ويتزعمها أشراف الحجاز ، كانت حكومة الهند البريطانية على النقيض من ذلك وترى أن الإدارة البريطانية المباشرة لبلاد ما بين النهرين هو الأسلوب الانجع لحكم هذه البلاد فسعت إلى ربطها بالهند وعدت هذه البلاد جزءا من إقليم البنجاب الهندي .

اتخذ هذا الخلاف صورا عديدة ، وتفاقم بمواقف حيث يجب أن يكون لكلا الطرفين رؤية واضحة لمعالجة هذا الموقف او ذاك .

عالج البحث مجموعة هذه المواقف والقى الضوء على أسباب الخلاف ، بدءا من محاولة المكتب العربي استغلال النقمة العربية ضد العثمانيين لإشعال ثورة في العراق ، مرورا بالخلاف الحاد بين الطرفين حول السبل الكفيلة لإنقاذ الحامية البريطانية التي حاصرتها قوات خليل باشا في الكوت عام ١٩١٦، ثم عالج البحث الاجراءات المضادة لرؤية المكتب العربي حول مستقبل بلاد ما بين النهرين ، وتناول أيضا موقف الجانبان من بيان الجنرال مود ، وانتهى البحث إلى التركيز على اثر الثورة العربية الكبرى في الحجاز ١٩١٦ على خلافات الجانبين بشأن بلاد ما بين النهرين .

١- سعي المكتب العربي لإشعال ثورة في بلاد ما بين النهرين وموقف حكومة الهند البريطانيَّة.

اتسم نشاط المكتب العربي في شؤون بلاد مابين النهرين بالضعف ، بسبب شكوك حكومة الهند البريطانية ومحاولتها وضع العراقيل والمحددات أمام هذا النشاط ، الذي كان يهدف إلى سحب السيطرة على شؤون بلاد مابين النهرين منها ، لقد كانت حكومة الهند البريطانية متخوفة من خسارة سلطتها العامة في تلك البلاد . لأن تشجيع المكتب العربي للثورة العربية كان يهدد بقيام دولة عربية على جناح الهند تعترض خطوط مواصلاتها ، وتتضمن أجزاء من بلاد مابين النهرين ، وهذا ما كانت غير مستعدة لقبوله[١].

تجلت معارضة حكومة الهند البريطانية لمخططات المكتب العربي في بلاد مابين النهرين في مناسبات عدة . ففي آذار ١٩١٦ أعدَّ كلايتون خطة مع عزيز علي المصري ومحمد شريف الفاروقي للسفر إلى بلاد مابين النهرين والاتصال بالقبائل العربية الساخطة على

الدولة العثمانية ، والخلايا القومية العربية السرية في الجيش العثماني لتأمين الدعم للجيش البريطاني من أجل تخفيف وطأة الحصار المفروض على القوات البريطانية في الكوت[٢] .

والواضح ان سبب اختيار المصري وزميله الفاروقي لهذه المهمة ، يعود إلى كونهما من ضباط جمعية العهد ، وتربطهما علاقات وطيدة مع بعض الضباط العراقيين المنتمين لهذه الجمعية ، فضلاً عن ان عزيز المصري سبق له ان تقدم بمقترحٍ إلى مكتب استخبارات القاهرة في آب عام ١٩١٤ ، بتفويض من الإدارة المركزية لجمعية العهد فرع بغداد ، يقضي بدعم بريطانيا لثورة عربية أما في العراق أو في مكان آخر من البلدان العربية تهدف إلى تأسيس حكومة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية[٣] . ومن أجل تنفيذ ذلك ، طلبت الحكومة البريطانية من قواتها في بلاد مابين النهرين تسهيل مهمة المصري والفاروقي، لكن رد الجنرال ليك ، القائد العام لحملة مابين النهرين ، كان مثبطاً لآمال المكتب العربي . ومما جاء فيه : " [...] يبدو لنا من وجهة النظر السياسية ان آراءهما ومخططاتهما السياسية هي بدرجة من التقدم بحيث انها لا تصلح زاداً مأمون العاقبة لسكان الأراضي المحتلة ، كما ان وجودهما في أية مدينة عراقية سيكون برأينا غير مرغوب فيه ومدعاة إلى عدم الارتياح "[٤] .

ويرى الباحث غسان العطية ان عدم موافقة سلطات الاحتلال في بلاد مابين النهرين على استقبال المصري والفاروقي ، يرجع إلى ان هذه السلطات كانت تسعى للحؤول دون أية محاولة من المكتب العربي للاشتراك في الأحداث التي كانت تجري في بلاد مابين النهرين[٥] . وذلك لإدراك هذه السلطات انه يدعم هذا المخطط ، الأمر الذي كانت تعدهُ خطيراً بما فيه الكفاية لإحباط أية محاولة منها لضم بلاد مابين النهرين لحكومة الهند البريطانية . وهو الذي جعل هذه السلطات ترفض مهمة المصري والفاروقي .

٢- الخلاف بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانيَّة بشأن حصار الحامية البريطانية في الكوت ١٩١٥

كما شهد شهر نيسان من العام نفسه موقفاً آخراً للخلاف بين المكتب العربي وإدارة حكومة الهند البريطانية في بلاد مابين النهرين ، عندما عهد اللورد كتشنر ، وزير الحرب البريطاني ، إلى المكتب العربي بمهمة فك الحصار عن القوات البريطانية في الكوت[٦] . عن طريق الدخول في مفاوضات مع خليل باشا قائد القوة العثمانية التي حاصرت تلك المدينة[٧] ، وبناءً على ذلك بادر المكتب العربي إلى تكليف ويندهام ديدز ، للقيام بهذه المهمة ، لكونه يجيد اللغة التركية ، ويحتفظ بعلاقات صداقة متينة مع كثير من القادة العثمانيين . غير ان ديدز رفض القيام بذلك لقناعته بان سلطات بلاد مابين النهرين البريطانية سترفض المهمة ، كما رفضت مهمة عزيز المصري من قبل[٨]. ثم عهد المكتب العربي بالمهمة إلى جورج لويد ، إلا انه رفضها هو الآخر بسبب جهله في قضايا التفاوض كما أدعى[٩]. بعد ذلك وباقتراح من ويندهام ديدز تم تكليف كل من لورنس[١٠] واوبري هربرت للقيام بهذه المهمة[١١]. ولم يكن اختيار هاتين الشخصيتين عشوائياً ، بل ان اوبري هربرت كان دبلوماسياً بارعاً ، ويجيد اللغة التركية، كما ان لورنس كان يحظى بثقة المكتب العربي بوصفه مفاوضاً بارعاً ، وذو معرفة ثرة بأحوال البلاد العربية[١٢] . لكنه رأى ان في اختياره سبباً آخر، وهو قيامه بمهمة مماثلة في مدينة ارضروم حيث وضع قائد القوات الروسية على تماس مباشر مع الضباط العرب المتمردين فيها ، وانه سيفعل الشيء نفسه في الكوت[١٣] .

من جهة أخرى حاول المكتب العربي استغلال تكليفه الرسمي بهذه المهمة ، لتنفيذ مخططه السابق مع عزيز علي المصري ومحمد شريف الفاروقي ، فأجرى معهما مقابلات عدة بعد أن أضيف اليهما عبد الرحمن الشهبندر ، وأُخبِرَ لورنس من قبل ويندهام ديدز في ٢٦ آذار عام ١٩١٦ بأنه تقرر سفر هذه المجموعة إلى بلاد مابين النهرين ، بعد سفره مباشرة ، وتم أطلاعه بأن عزيز علي المصري ذو تأثير كبير على الضباط العراقيين ، كما أضيف نوري السعيد لهذه المجموعة لكونه يتسم بالاعتدال حسب وجهة نظر ديدز ، وكانت التعليمات

التي صدرت إلى لورنس تقضي بأن يعتمد على عبد الرحمن الشهبندر في التأثير على باقي أعضاء المجموعة المرافقة له ، إذ وصفه كلايتون بالسند الأكبر للمكتب العربي[١٤] .

وقبل وصول لورنس إلى البصرة ، بعثت رئاسة الأركان الإمبراطورية برقية سرية إلى الجنرال ليك قائد القوات البريطانية في بلاد مابين النهرين ، في ٢٩ آذار عام ١٩١٦ حملت أوامر تقضي بتسهيل مهمة لورنس ، وتوفير مبلغ مليون جنيه لرشوة القائد العثماني خليل باشا ، فضلاً عن العثور على وسيط من أهالي البصرة لمرافقة لورنس[١٥] . كما شددت رئاسة الأركان الإمبراطورية على عدم الإفصاح عن رغبة الحكومة البريطانية بتقديم الرشوة ، وان يخبر ضباط حملة بلاد مابين النهرين ، ان مهمة لورنس واوبري هربرت هي من أجل الحصول على المعلومات الاستخباراتية ، وبخاصة تجميع الخرائط للمكتب العربي[١٦].

وفي الواقع ، إن لورنس كلف بمهام عدة ، ففضلاً عن تقديم الرشوة لخليل باشا ، كلف بالبحث عن إمكانية قيام ثورة عربية في بلاد مابين النهرين لخلق المتاعب للعثمانيين من أجل تخفيف الضغط عن القوات البريطانية المحاصرة في الكوت[١٧] . كما سعى المكتب العربي من خلال مهمة لورنس إلى إيجاد نوع من التوافق والانسجام في التخطيط الاستراتيجي البريطاني بين حكومة الهند البريطانية والمكتب العربي[١٨].

وصل لورنس إلى البصرة ، التي استقبل فيها من قبل جيروتروودبيل حيث مكث فيها ثلاثة أيام أثمرت عن توطيد علاقته بها[١٩]. وكتبت في ٩ نيسان عام ١٩١٦ عن لقائها به قائلة : "... لقد دبت بيننا الحياة في هذا الأسبوع بظهور لورنس الذي بعث كضابط اتصال من مصر ، وجرت بيننا أحاديث شيقة ، ووضعنا خططاً هائلة لحكم الكون "[٢٠] . واذا كان لورنس نجح فعلاً بالتقرب من المس بيل ، فانه فشل في محاولة التقرب من السير بيرسي كوكس ، فلم يتفق الاثنان على فكرة التحريض على قيام ثورة في بلاد مابين النهرين ضد القوات العثمانية ، وأبدى كوكس رفضه القاطع لقدوم عزيز علي المصري ورفاقه للقيام بتلك المهمة[٢١]. كما رفض فكرة المكتب العربي بشأن استخدام السيد طالب النقيب، الذي كان منفياً في الهند ، لقيادة تحرك ثوري عربي ضد العثمانيين[٢٢]. وكان لورنس يرى في عدم الاستفادة من السيد طالب النقيب في المدة التي تلت الاستيلاء على البصرة خطأً كبيراً نتيجة للنفوذ الكبير الذي كان يمتلكه ، والذي كان بإمكان بريطانيا استغلاله وتسخيره بإعلان ثورة عربية في بلاد مابين النهرين بالتعاون مع الضباط العرب الموجودين ضمن القوات العثمانية[٢٣].

والأهم من ذلك ، ان كوكس رفض بشدة تقديم الرشوة إلى خليل باشا ، وعده عملاً مشيناً لأنه اعتقد ان تقديم المال في مثل هذه الظروف لا يخدم الأهداف التي تعمل بريطانيا على تحقيقها في المنطقة[٢٤]. وبخاصة ان جهاز الدعاية العثماني كان يصف بريطانيا بـ "أمة أصحاب الدكاكين "[٢٥] . وكان كوكس يعتقد ان من الأجدى ان تقدم هذه الأموال للقائد المحاصر وقواته ، الأمر الذي بدأ به هو فعلاً عندما طلب من فيلبي القيام بجمع الأموال من السكان لتقديمها إلى الجنرال طاونزند[٢٦] . وعلى وفق هذه الاعتبارات التي جعلت برسي كوكس يرفض مهمة تقديم الرشوة للعثمانيين . أوكلت مهمة مرافقة لورنس إلى الكولونيل بيج (Colonel Beach)[٢٧] . ويظهر ذلك من برقية بعث بها كوكس إلى الأخير في ٧ نيسان عام ١٩١٦ أعلن فيها رفضه التام لتلك المهمة التي أراد المكتب العربي تنفيذها في بلاد مابين النهرين ، ومما جاء فيها : " [...] من المؤكد جداً ان المشروع المطروح سينكشف عاجلاً أو آجلاً ، خاصة إذا ثبت فشله ، وانا لا استطيع كمسؤول سياسي في حكومة الهند أن اقرن نفسي به"[٢٨].

ويبدو ان هذا الخلاف بين كل من برسي كوكس ولورنس تحول إلى خصومة بين الرجلين ، لم تبددها بينهما حتى الوساطة التي قام بها هنري دوبس (Henry Dobbs)[٢٩] ، وقد فشل الأخير فيها. والواضح ان الرجلين كانا على طرفي نقيض ، فهما يمثلان اتجاهين مختلفين في السياسة البريطانية . الأمر الذي جعل لورنس يتهم كوكس بالجهل في موضوع الجمعيات العربية السرية والسياسات العثمانية[٣٠] . ويبدو ان هذا الاتهام كان انفعالياً لان

لورنس في رأي سابق له ذكر ان برسي كوكس من أكثر العاملين في الدائرة السياسية في البصرة منطقية وفهماً للأمور وتقارباً إلى حد ما مع مدرسة القاهرة[٣١] . غير انه لا يعير أهمية لاستخدام العرب كوسيلة من وسائل تثبيت النفوذ البريطاني في بلاد مابين النهرين شأنه في ذلك ، شأن دعاة المدرسة الهندية .

بدأ لورنس تنفيذ خطط المكتب العربي. وهي : " البحث عن وسيط من أهالي البصرة من أجل تسهيل مهمة فك الحصار عن طاونزند" ، حسب ما جاء في نص البرقية المرسلة إلى الجنرال ليك[٣٢]،

وعليه التقى بسليمان فيضي[٣٣] ، ومع التسليم بأمر اللقاء[٣٤] ، غير أنه ليس ثمة دليل وثائقي عن ما دار خلاله ، ما عدا ما تركه لنا فيضي في مذكراته بأن لورنس طلب منه إعلان " الثورة " ضد الوجود العثماني في بلاد مابين النهرين ، بقوله : " [...] واني مفوض من الحكومة على إيجاد تلك الثورة وبذل كل ما يلزم من المال والسلاح وغيرهما للقيام بهذا العمل ، وبالأخص اتخاذ جميع الوسائل والأسباب المقيضة لنجاح ذلك ، وبناءً على اعتمادي على مقدرتك ونشاطك [...] ارجو ان تقوم أنت بترتيب هذه الثورة وان تتصدى لها وتعمل فعلاً على إشعالها وإدارتها "[٣٥] . وأدعى فيضي أنه رفض ما جاء به لورنس متذرعاً بكونه رجل حضري لا تسنده عشيرة ، ولا زعامة تقليدية ، وانه لم يكن معادياً للعثمانيين . كما ذكر أنه رشح السيد طالب النقيب بديلاً عنه ، غير ان لورنس رفض الاتفاق مع النقيب لمعرفته بالموقف غير الودي لسلطات بلاد مابين النهرين تجاهه ، الأمر الذي جعل فيضي يرشح أحمد باشا الصانع ، وهو من وجهاء البصرة ، للقيام بهذه المهمة[٣٦] . غير ان لورنس لم يذكر في التقرير الذي رفعه إلى كلايتون في ٩ نيسان عام ١٩١٦ ما يشير صراحة إلى أمر الثورة أو لقائه بفيضي . ومما كتبه في هذا التقرير : " كنت أتفحص الحزب القومي العربي [...] انه يضم حوالي اثني عشر عضواً ، كان في السابق يتكون من السيد طالب [النقيب] وبعض أتباعه ، أن أهالي البصرة الآخرين هم أما من نجد يهتمون بوسط الجزيرة العربية فقط ويصنفون مع الجزيرة العربية من الناحية السياسية ، أو [فلاحين] من المهتمين بأشجار النخيل أو [إيرانيين] . لا توجد مشاعر عربية "لديهم" وبالنسبة لنا فالمكان يمكن إهماله "[٣٧] .

واذا كان لورنس لم يصرح في تقريره بشيء عن أمر الثورة المفترضة ، فما الذي جعل فيضي يقدم على هذا الإدعاء ؟ . لقد ذهب الباحث حميد أحمد حمدان التميمي في معرض إجابته على هذا التساؤل إلى القول ان فيضي فهم ما جاء به لورنس فهماً مبالغاً فيه . فالأخير تعمد الإبهام في مطلبه ، ولم يكن يقصد القيام بثورة شاملة ضد الوجود العثماني بقدر ما كان يقصد ان تقوم هناك حركة من الضباط العرب لتخفيف الضغط على حامية الكوت المحاصرة ، وهذه الحركة كانت بحاجة إلى وسيط[٣٨]. والواقع ان فكرة القيام بثورة في بلاد مابين النهرين كانت مدرجة ضمن مهمة بعثة لورنس كما بينا سابقاً ، الا ان اقتناع لورنس بعدم وجود شخصية قادرة على القيام بهذه الثورة جعله يصرف النظر عن الحديث بشأنها ، واقتصار مهمته على البحث عن وسيط يمهد للاتصال بالضباط العرب العاملين في الجيش العثماني بغية فك الحصار عن حامية الكوت . ويظهر من البرقية التي بعث بها الجنرال ليك في ١٦ نيسان عام ١٩١٦ ، ان لورنس فشل أيضاً في إيجاد وسيط مناسب لتحقيق ما جاء من أجله ، وجاء في هذه البرقية : " [...] أجرى لورنس مباحثات سرية مع سليمان [فيضي] [...] كما تحادث مع شخص آخر من حاشية طالب القدماء ، ولكنه وجد ان كليهما متوتر الأعصاب [...] فلاهما ولا أي من أسرى الحرب أو من الذين تركوا الجيش [العثماني] [...] مناسبين للعمل كوسطاء "[٣٩] .

ولما لم ينجح لورنس في العثور على "وسيط" مناسب ، قرر التوجه إلى جبهة القتال بنفسه في محاولة مباشرة لفك الحصار عن قوات الجنرال طاونزند عن طريق تقديم الرشوة إلى خليل باشا . وكان الجنرال طاونزند من جانبه قد أرسل رسالة إلى القادة العثمانيين ، في ٢٦ نيسان عام ١٩١٦ ، طلب فيها هدنة لمدة عشرة أيام لغرض بدء المفاوضات بين الجانبين ،

استناداً إلى أوامر تلقاها من الجنرال ليك ، خولته بإجراء المفاوضات . لكنه لم يفلح في إقناع القادة العثمانيين برفع الحصار عن قواته ، على الرغم من عرضه تقديم مبلغ الرشوة المتفق عليه[٤٠] . وأبلغ الجنرال ليك في البصرة بأن أنور باشا ، وزير الحربية العثماني ، طلب من خليل باشا رفض العرض البريطاني ، والإصرار على استسلام حامية الكوت من دون شروط[٤١] .

فاقترح الجنرال ليك زيادة المبلغ إلى مليوني جنيه ، مع تقديم عدد من الأسرى العثمانيين مساوياً لعدد أفراد الحامية المحاصرة في الكوت[٤٢].

كان لورنس ورفيقيه (اوبري هربرت والكولونيل بيج) خلال مدة المفاوضات على مقربة من خطوط القتال يراقبون سيرها فتلقى برقية من قيادة الجنرال ليك في البصرة ، تطلب منه المباشرة بالمفاوضات بدلاً عن الجنرال طاونزند وتقديم العرض الجديد إلى خليل باشا[٤٣]. ويبدو ان القيادة المذكورة لم تكن على ثقة تامة بلورنس ورفيقيه ، على الرغم من ان تكليفهم صدر من وزارة الحرب البريطانية ، لذلك لم تسمح لهم بالمباشرة في المفاوضات ، إلا بعد ان أدركت فشل الجنرال طاونزند بإقناع القادة العثمانيين بشروطه .

ومهما يكن من أمر ، فقد وصل الوفد المفاوض إلى المواقع العثمانية في ٢٩ نيسان عام ١٩١٦، وفي اليوم نفسه اجتمع بخليل باشا ، الذي كان مُمسكاً بجميع الأوراق على حد تعبير لورنس[٤٤]. فرفض العرض الجديد ، وتمسك باستسلام حامية الكوت دون شروط . عندها أيقن المكتب العربي صلابة خليل باشا فتم تحويل مجرى المفاوضات باتجاه البحث في مصير الأسرى البريطانيين من الجرحى ، ومصير العرب من سكان الكوت ، فضلاً عن مصير الجنرال طاونزند شخصياً[٤٥]. وفي هذه المسائل الثلاث كان نجاح الوفد المفاوض محدوداً ، حيث وافق خليل باشا على مبادلة الأسرى البريطانيين من الجرحى ، بأسرى عثمانيين من الأصحاء ، واشترط مبادلة البريطانيين بالأتراك ، والهنود بالعرب ، ثم غير موقفه وأكد على عدم موافقته على دخول الجنود العرب من الأسرى لدى البريطانيين كجزء من شروط التبادل ، لكونه قرر إعدامهم[٤٦] . وعندما انتقل لورنس للبحث في مصير سكان الكوت، الذين اظهروا مشاعر الصداقة نحو بريطانيا – على حد قوله – أجابه خليل باشا أن لا نية لديه للتشدد في هذا الأمر ، غير انه لم يلتزم بتعهده فأعدم عدداً من سكان الكوت بعد دخوله المدينة[٤٧] . ولم يبق لدى الوفد البريطاني غير التأكد من حسن نية معاملة الجنرال طاونزند ، الأمر الذي وافقهم عليه خليل باشا بقوله : " ان الجنرال سيكون بخير "[٤٨] .

وبينما كانت المفاوضات مستمرة أصدر طاونزند أوامره بتدمير المدفعية الثقيلة الموجودة في الكوت ، بعدما أدرك ان لا جدوى من المفاوضات وأخذت الأعلام البيضاء ترفع من على خنادق القوات البريطانية ، ودخلت القوات العثمانية إلى الكوت في اليوم نفسه الذي بدأت فيه مفاوضات
أعضاء المكتب العربي مع خليل باشا . وانتهت به أيضاً[٤٩] .

وعلى الرغم من فشل المكتب العربي في إتمام هذه المهمة ، غير ان ما آلت إليه الأمور فيما بعد صبت في صالحه ، فقد آلت الكارثة العسكرية إلى تغييرات جذرية كان من بينها انتقال سلطة الإشراف العام على حملة بلاد مابين النهرين من حكومة الهند البريطانية إلى وزارة الحرب في لندن[٥٠] .

أثبتت بعثة المكتب العربي إلى بلاد مابين النهرين انها بعثة مدعاة لمزيد من الخلاف ، إذ بذرت بذور الخصومة المرة بينه وبين سلطات الاحتلال البريطاني في تلك البلاد ، إلى درجة أنها " تركت تأثيرات جدية على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط "[٥١] ، فقد عمل لورنس بشكل دؤوب لعرقلة أي اتصال بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية ، ولم يعمل جهده لتقريب وجهات النظر والعمل بين الاثنين ، وقد وصف بأنه في مهمته كان " سيء الحظ من البداية إلى النهاية "[٥٢] ، وبعد عودته إلى القاهرة في بداية شهر حزيران عام ١٩١٦ أقدم على تقديم تقرير لاذع ، عن رحلته تلك . فصَّل فيه ما اعتبره ظروفاً مروعة على جبهة

بلاد مابين النهرين ، وانتقد بشكلٍ سافرٍ الحملة العسكرية البريطانية ابتداءً من التخطيط "اللوجستي" ، مروراً بشؤون الاستخبارات ، ولم تسلم من انتقاده حتى الأحجار المستعملة في الطباعة الحجرية ، ونظام رسو السفن على الأرصفة النهرية ، وكفاءة الرافعات العاملة في تفريغ السفن ، وأسلوب إدارة سكك الحديد[٥٣] .

٣- إجراءات حكومة الهند البريطانية لمنع تدخل المكتب العربي في شؤون بلاد ما بين النهرين .

وكان من الطبيعي ان تواجه حكومة الهند البريطانية هذا الانتقاد من لدن لورنس بمجموعة من الإجراءات من أبرزها محاولة اللورد شيلمسفورد (Lord Chelmsford) تحديد نشاط فرع المكتب العربي في البصرة ، وبخاصةٍ فيما يتعلق بشؤون الدعاية ، التي اعتبرتها حكومة الهند البريطانية انها دعاية تحريضية ضدها[٥٤] . فاقترح في ٨ أيار ١٩١٦ ان تكون المس بيل ، هي مراسل المكتب العربي ، بدلاً من الميجور بليكر (Major Blaker) ، كما أوصى بدعم وظيفتها الجديدة من قبل سلطات الاحتلال في بلاد مابين النهرين[٥٥] . الأمر الذي حظي بموافقة برسي كوكس – رئيس الضباط السياسيين - ، بعد ان شدّد على ضرورة ان يكون المراسل تحت سيطرته إلى حد ما ، إذا ما رغب بالحصول على المعلومات من مكتبه ، وفسر جورج لويد موقف كوكس هذا بأنه نتيجة للمخاوف التي انتابت حكومة الهند البريطانية من نشاطات المكتب العربي[٥٦].

ولم يقتصر هذا الموقف المتشنج على اللورد شيلمسفورد ، بل ان آرثر هيرتزل انتقد نشاطات المكتب العربي ، في اليوم التالي لتوصية اللورد شيلمسفورد ، قائلاً : " [...] موقع المكتب العربي وكل ما يرتبط به غير مرضي [...] ان غضب الجنرالات في بلاد مابين النهرين من ألاعيب المكتب العربي الحمقاء والاستفزازية كانت في درجة الغليان [...] التجربة جعلت من محاولة معالجة شؤون بلاد مابين النهرين من خلال القاهرة ، بدون استشارة سابقة ، أمراً مرفوضاً "[٥٧] .

وعلى الرغم من هذه الانتقادات ، واصل المكتب العربي محاولاته للتأثير في شؤون بلاد مابين النهرين ، فبعث جورج لويد في شهر أيار عام ١٩١٦ ليلتحق بهيئة موظفي برسي كوكس في البصرة ، وبقي فيها أكثر من شهرين . وهناك استلم برقية من حكومة الهند البريطانية طلبت منه ان يصبح مراسل المكتب العربي في البصرة ، غير انه اعتذر عن قبول هذا المنصب ، متذرعاً بقلة خبرته بالشؤون العربية، وعدم إجادته للغة العربية ، وعزّز مكانة المس بيل باعتبارها الشخصية المناسبة للقيام بهذا العمل[٥٨] .

ويبدو ان موقف حكومة الهند هذا ناتج من شكوكها بنشاط المس بيل ، في موقعها الجديد ، لاسيما وانها استعملت هذا الموقع لإيصال المعلومات الاستخباراتية إلى القاهرة ، من دون معرفة سلطات بلاد مابين النهرين ، عن طريق سفن نقل الجنود لتفادي رقابة الاستخبارات العسكرية لحملة بلاد مابين النهرين[٥٩] .

ولما كان جورج لويد قد كلف من قبل المكتب العربي بدارسة الآفاق المستقبلية للتجارة البريطانية في بلاد مابين النهرين ، استناداً إلى خبرته في هذا المجال[٦٠] ، فأنه قدم تقريراً إلى المكتب العربي ذكر فيه ان على بريطانيا ان تهيأ نفسها للتنمية الاقتصادية في المنطقة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى[٦١] . وأوصى ان يوسع المكتب العربي أنشطته لتصبح نوعاً من متحف حديث للمعرفة الاقتصادية في بلاد مابين النهرين ، أكثر من أية منطقة أخرى ، وكان من رأيه ان التغلغل الاقتصادي والهيمنة على الأسواق ، هما الكفيلان بالحراك السياسي في المنطقة[٦٢] . وأكد ان على بريطانيا ان تبدأ بالتخطيط منذ الآن ، عن طريق المصادر الثقافية

المتوافرة في المكتب العربي ، في توفير أفضل السبل ذات الصبغة التجارية لتعزيز مصالحها في هذه المنطقة[٦٣] .

ان مفهوم جورج لويد لدور المكتب العربي يوضح أولويات الرجل ، فهو لم يكن مهتماً بالشؤون العربية ، بقدر ما كان ، اقتصادياً ، لذلك فأنه وجه ناظريه إلى منظور اقتصادي لم يكن ضمن أولويات المكتب العربي ، التي كانت تهدف إلى هزيمة العثمانيين في الحرب ، لذلك عدَّ المكتب العربي أفكاره سابقة لأوانها ، وتفاؤله من دون مبرر[٦٤] .

ولم يهمل جورج لويد توجيه النقد إلى حملة بلاد مابين النهرين ، فقد كان كسابقه لورنس ناقداً لاذعاً لنظام الاتصالات " السيء " ، والقيادة " الحمقاء " ، وانعدام التجهيز ، فضلاً عن انتقاده لأجواء الفوضى التي تخيم على إجراءات النقل والترحيل[٦٥] . غير أنه ، على خلاف لورنس ، لم يلق امتعاضاً من سلطات حكومة الهند البريطانية في بلاد مابين النهرين ، بل على العكس من ذلك ، فأنه حصل على مساندة بعض الشخصيات المؤثرة ، أبرزهم كان ارنولد ولسن الذي قال عن زيارته : "[...] نظر إلى مشكلات بلاد مابين النهرين نظرة محايدة بعيدة عن التحيز ، ومن دون رغبة في الإدلاء بآراء قاطعة"[٦٦] . كما اثنت المس بيل على جهوده معتبرةً إياها مساعدة قيمة للسلطات البريطانية في بلاد مابين النهرين[٦٧] . وكان من نتيجة هذا الموقف الإيجابي اتجاهه ، ان أقدمت حكومة الهند البريطانية على إرسال بعثة تجارية إلى بلاد مابين النهرين على وفق التوصيات التي قدمها في تقاريره[٦٨] .

اعتبر المكتب العربي إدارة بلاد مابين النهرين بأسلوب حكومة الهند البريطانية أمراً خطيراً[٦٩]. فكتب مارك سايكس ، المعبر عن وجهة النظر السياسية للمكتب ، في عام ١٩١٦ محذراً من ان ترك العمل لحكومة الهند البريطانية ، دونما رقيب ، سيحمل معه الأفكار القديمة عن السود والبيض ، وليس بالإمكان ان يحكم العرب بنهج السود والبيض[٧٠] .

٤- الخلاف بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية حول بيان الجنرال مود ١٩١٧.

وفي الواقع ، فأن هذا الخلاف تبلور بشكل أوضح في البيان الذي أذاعه السير ستانلي مود[٧١] (Sir F. Stanley Maude) على أهالي بغداد بعد احتلالها ، في ١٩ آذار ١٩١٧ . وكان هذا البيان قد أُعدَّ من قبل مارك سايكس ، ونشر باسم وزارة الحرب ، بدلاً من بيان برسي كوكس[٧٢] ، الذي طلبت الحكومة البريطانية عدم إذاعته بانتظار تعليمات جديدة منها[٧٣] .

كان احتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، ميداناً جديداً للخلاف بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية . فالنجاح الذي حققته القوات البريطانية باحتلالها بغداد ، طرح تساؤلاً مهماً عما يجب عمله بالولايات العثمانية التي احتلها الجيش . وكانت حكومة الهند البريطانية تستهدف طوال الوقت ان تكون ولايتا بغداد والبصرة ضمن إطار نفوذها[٧٤] .

أثار بيان سايكس معارضة سلطات الاحتلال البريطاني لبلاد مابين النهرين ، فقد اعترض الجنرال مود - رغم إذاعته للبيان - على ما جاء فيه واصفاً إياه بأنه : " لم يكن ضرورياً ، كما أنه غير ملائم من كافة الوجوه "[٧٥] . على اعتبار ان الأمر الجوهري لسلطات الاحتلال هو إقامة إدارة بريطانية لحفظ الأمن ، ما دامت الحرب مستمرة ، فضلاً عن ان البيان – حسب رأي مود – بعرضه نوعاً من الحكم الذاتي على عرب بغداد لم ينتبه إلى حقيقة أن غالبية سكان المدينة حسب ما زعمه ليسوا عرباً بل يهوداً[٧٦] . أما أرنولد ولسن فانتقد البيان واصفاً إياه بأنه : " حُرر في لندن من قبل رحالةٍ عاطفيٍ ولم يبحث في فحواه أو محتواه أو في التعابير الواردة فيه "[٧٧] .

اتفق المكتب العربي مع حكومة الهند البريطانية في معارضتهما لبيان سايكس ، غير أنهما اختلفا في منطلق كل منهما لهذه المعارضة ، ففي الوقت الذي عارضت فيه حكومة الهند البريطانية الإشارات الواردة في البيان والتي تعطي للعرب " وعداً بحكم ذاتي " ، فأن المكتب العربي ، في القاهرة ، عارض البيان لأنه ساوى بين النفوذ البريطاني في بغداد والنفوذ الفرنسي في سورية . إذ قال كلايتون : " ان التصريح يمثل دهاءً سياسياً لطمأنة الشريف

حسين ، غير أنه ليس سوى محاولة لتقييد خطط المكتب العربي الخاصة بسورية "[٧٨] . وكان فيليب كرافيز قد انتقد البيان بقوله : "ان البيان أعطى انطباعاً عاماً غامضاً بأن الحلفاء ينظرون بعين الرضا إلى نوع من الوحدة العربية"[٧٩] .

وفي شهر حزيران ١٩١٧ افتتح المكتب العربي فرعه الجديد في بغداد ، بعد أن نُقل من البصرة، لأن بغداد أصبحت قاعدة للسيطرة البريطانية في بلاد مابين النهرين . وحددت مهام الفرع الجديد بتهيئة الوكلاء للاشتغال خلف خطوط الجيش العثماني استعداداً لهجوم الجنرال اللنبي على سورية[٨٠] . والواضح ان اقتصار عمل فرع بغداد للمكتب العربي على الاشتغال في جهود إنجاح حملة اللنبي على سورية يعطي انطباعاً واضحاً عن مدى المعارضة الهندية لأنشطة المكتب العربي في بلاد مابين النهرين.

٥- أثر الثورة العربية الكبرى في خلاف المكتب العربي وحكومة الهند بشأن بلاد ما بين النهرين .

وعلى الرغم من هذا التحديد لنشاط المكتب العربي ، غير أنه كان فاعلاً في التأثير على الحكومة البريطانية بشأن الأمور في بلاد مابين النهرين ، وكان هذا التأثير مرتبطاً بالثورة العربية الكبرى، والوعود المقدمة إلى الشريف الحسين ، لأن تجاوز تلك الوعود بشكل واضح يعني تراجعاً لعمليات الثورة العربية ، الأمر الذي لم تكن الحكومة البريطانية مستعدة لتحمله . غير ان هذا التأثير بدأ يتلاشى بحلول شهر آب من العام نفسه ، وذلك لسببين الأول يتعلق بنجاح كل من برسي كوكس وارنولد ولسن في إقامة الإدارة المدنية ببغداد ، أما الثاني ، فكان مرده إقدام حكومة روسيا السوفيتية على فضح اتفاقية سايكس-بيكو وما تلى ذلك من نشاط دعائي للحكومة العثمانية بين العرب لحثهم على نبذ التحالف مع بريطانيا[٨١] .

ونظراً لذلك اقترح الجنرال ونكت ، بدفع من أعضاء المكتب العربي ، إصدار تصريح جديد لطمأنة الشريف الحسين بن علي ، يوضح ان بريطانيا لن تتخلى عن وعودها للعرب ، وانها لن تؤيد احتلالاً دائماً لبلاد مابين النهرين ، عدا ولاية البصرة ، وان التدخل البريطاني سيكون مقتصراً على المساعدة والحماية ، لاسيما وان ظروف الحرب تغيرت بانسحاب روسيا منها[٨٢] ودخول الولايات المتحدة الأمريكية فيها[٨٣] مما جعل بريطانيا قادرة على التخلي عن اتفاقية سايكس بيكو حسب رأي مارك سايكس الذي كان تواقاً لذلك بعد ان ارتبطت الاتفاقية منذ البداية بأسمه . ومن الجدير بالذكر ان الأمر لم يكن مقتصراً على سايكس ، بل ان لويد جورج ، رئيس الحكومة البريطانية ، وصف الاتفاقية بانها "اتفاقية سخيفة"[٨٤] . وأوضح في خطاب له ، في ٥ كانون الثاني عام ١٩١٨ ، ان المناطق العثمانية المختلفة بما فيها بلاد مابين النهرين:"مؤهلة للاعتراف بكياناتها الوطنية المستقلة"[٨٥] ويستنتج من ذلك ان لندن باتت لا تميل إلى إلحاق تلك البلاد بحكومة الهند البريطانية[٨٦] .

من ناحية أخرى نظرت لجنة الشرق الأوسط في مسألة تأثير هذه التطورات الجديدة على سياستها في بلاد مابين النهرين . ففي ٩ شباط عام ١٩١٨ طلبت اللجنة حضور برسي كوكس إلى القاهرة للتداول بشأن كيفية التوفيق بين السياسة البريطانية تجاه بلاد مابين النهرين والتطورات الدولية الجديدة ، على ان لا يخرج ذلك عن إطار الإشراف البريطاني على المناطق التي تحتلها[٨٧] . وغادر كوكس بغداد في ٤ آذار ١٩١٨ ، وعند وصوله إلى السويس بمصر تلقى برقية من الحكومة البريطانية تدعوه للتوجه إلى لندن للتباحث ، غير أنه عقد قبل مغادرته اجتماعاً في ٢٣ آذار عام ١٩١٨ حضره أبرز أعضاء المكتب العربي ومنهم كلايتون ، وهوغارث ، وكورنواليس ، وجاكوب ، ومثل هذا الاجتماع لقاءً مباشراً بين سياسيّ المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية في بلاد مابين النهرين وقد حصل لأول مرة على هذه المستوى[٨٨] . ففي ردٍ على سؤال قدمه كلايتون بشأن مدى السيطرة البريطانية على بلاد مابين النهرين ، أجاب برسي كوكس أن الأمر الجوهري في هذه السيطرة هي ان تكون سيطرة مالية وإدارية تامة ، تخلو من أية صيغة عثمانية على الإطلاق ، في حال تم الاتفاق على قيام واجهة إدارية عربية[٨٩] . وهذا يتناقض طبعاً مع الوعود التي منحتها القاهرة للشريف الحسين والتي

كان المكتب العربي يتبناها ، لذلك لم يسفر هذا الاجتماع عن تذليل للخلافات بين الجانبين ، إذ تجددت في اجتماعات اللجنة الشرقية[٩٠] ، التي كان عليها التعرف على آراء المكتب العربي ، فاستغلت وجود لورنس في لندن ووجهت اليه الدعوة لحضور اجتماعاتها في تشرين الثاني ١٩١٨ ، باعتباره عضواً فاعلاً في المكتب العربي ، فضلاً عن كونه كان أحد أكثر الشخصيات البريطانية خبرة ودراية بالشؤون العربية الأمر الذي يؤهله لتقديم المقترحات التي يراها مناسبة بشأن بلاد مابين النهرين[٩١] .

تمحورت اقتراحات لورنس أمام اللجنة الشرقية ، على الأمير فيصل في المقام الأول ، فقد استهل حديثه بقوله ان فيصلاً تعاون تعاوناً وثيقاً في الحرب مع الجنرال اللنبي ، ووصفه بأنه أمين ومستقيم وذو مقدرة كبيرة ، وانه ميال للبريطانيين[٩٢] . ثم اقترح ضرورة وضع بلاد مابين النهرين تحت الانتداب البريطاني ، وان تشكل فيها حكومتان ، الأولى هي حكومة بلاد مابين النهرين العليا ، وتكون تحت حكم الأمير عبد الله ، وحكومة بلاد مابين النهرين السفلى ، وتكون تحت سلطة الأمير زيد . ويجب ان تكون الحدود بين بلادي مابين النهرين العليا والسفلى الممتدة من نقطة التقاء نهر الزاب الأعلى بنهر دجلة ، إلى عانه عبر نهر الفرات ، ومنها إلى بيرجك . وسوف يشكل نهر الفرات حداً فاصلاً بين الحكومتين . أما الحدود الشمالية فسوف تمتد خلال اورفة وديار بكر حتى نهر دجلة ، وتكون عاصمتها الموصل ، أو رأس العين[٩٣] . ودعم هوغارث مقترحات لورنس في مذكرة رفعها إلى اللجنة الشرقية في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٨ توصي بفصل العراق الشمالي عن ولايتي بغداد والبصرة ، وان تؤسس دولة في الموصل[٩٤] .

ومن الواضح ان المقترحات التي قدمها لورنس ، والتوصيات التي رفعها هوغارث كانت رداً على سياسة حكومة الهند البريطانية في بلاد مابين النهرين ، فضلاً عن انها هدفت إلى إفراغ اتفاقية سايكس- بيكو من مضمونها بمنح ولاية الموصل لبريطانيا[٩٥] . ومهما كان الهدف من المقترحات ، فانها قوبلت بمعارضة سلطات الاحتلال في بلاد مابين النهرين ، إذ وجد ارنولد ولسن ، في رسالة إلى اللجنة الشرقية في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩١٨ ، بان مقترحات لورنس عاجزة عن فهم تطورات الأوضاع في بلاد مابين النهرين . وحذَّر من انسياق الحكومة البريطانية وراء مشورة المكتب العربي في القاهرة ، والتي نعتها بأنها "مشورة غير عملية مطلقاً"[٩٦] . وهي عبارة عن "نفاق دبلوماسي"[٩٧] . وذهب ولسن إلى ابعد من هذا بقوله ، ان قدوم أبناء الشريف الحسين لحكم بلاد مابين النهرين ليس من مصلحة بريطانيا ولا من مصلحة أهالي البلاد . وان تقسيم العراق إلى شمالي وجنوبي لا تجيزه الأحوال الاقتصادية والسياسية السائدة في البلاد ، حيث ان ولايات الموصل وبغداد والبصرة كلها كانت بالأساس وحدة واحدة، ويجب ان تدار من الحكومة البريطانية بشكل مباشر[٩٨] .

كما أوصى بالأخذ بمشروع برسي كوكس الذي قدمه في ١٥ نيسان عام ١٩١٨ أمام اللجنة الشرقية[٩٩] .

واللافت للنظر ان مقترحات المكتب العربي لم تلق رواجاً لدى اللجنة الشرقية ، مما اضطره إلى تعديلها بترك فكرة الدولتين ، وتوحيد بلاد مابين النهرين الشمالية والجنوبية في دولة واحدة يكون على رأسها أمير هاشمي . لكن ارنولد ولسن عارض ذلك بشدة أيضاً[١٠٠] ، متذرعاً بأن سكان بلاد مابين النهرين لا يفضلون أميراً هاشمياً ، كما جوبه هذا المقترح بمعارضة ارثر هيرتزل ، الوكيل المساعد لوزارة شؤون الهند ، بحجة انه يرضي الهاشميين على حساب المصالح البريطانية[١٠١] .

وعلى أثر هذا الشد والجذب بين المكتب العربي وحكومة الهند البريطانية ، فأن الحكومة البريطانية لم تلزم نفسها بسياسة معينة تجاه بلاد مابين النهرين ، غير ان اندلاع ثورة ١٩٢٠ فيها أعطت بريطانيا أسباباً وجيهة لإعادة النظر في سياستها السابقة ، تلك السياسة التي لم يكن للمكتب العربي دور فيها ، فلم يعر اهتماماً كافياً للثورة في بلاد مابين النهرين على حد قول ارنست مين[١٠٢] (Ernest Main).

إلا أن ما آلت إليه هذه الثورة من نتائج، ولاسيما التكاليف المادية الباهظة لمكافحتها في وقت كانت فيه لندن تعاني من مشاكل مالية جمة فرضتها طبيعة التزامات بريطانيا بالحرب ، جعل بريطانيا تميل إلى رؤية المكتب العربي حول العراق وتستبعد بشكل تام رؤية حكومة الهند ، وهذا ما تجلى بنقل الإشراف على شؤون العراق من وزارة شؤون الهند إلى وزارة المستعمرات الأمر الذي افضى إلى عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ والموافقة على تنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق .

الهوامش:

1- (1)Elizabeth Monroe , Philby of Arabia , (London : Faber and Faber , 1973) , P.47 ; Bruce Westrate , Arab Bureau : British Policy in the Middle East 1916-1920 , (U.S.A. , Pennsylvania Stats University press , 1992) , p.81.

(٢) حميد أحمد حمدان التميمي ،البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩٢١ ، (بغداد : مطبعة الارشاد ١٩٧٩) ، ص ٥٦٣ .

(٣) غسان العطية ، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨–١٩٢١ ، ترجمة : عطا عبد الوهاب ، (لندن : دار اللام ، ١٩٨٨) ، ص١٣٨ . ومن الجدير بالذكر ان مكتب استخبارات القاهرة كان تحت إدارة كلايتون ، الذي أصبح فيما بعد مديراً للمكتب العربي لذلك أخذ على عاتقه تنفيذ مقترح المصري . وللمزيد من التفاصيل عن اتصالات المصري المبكرة بالبريطانيين . ينظر : زينب خالد حسين الساعدي، المصدر السابق ، ص١٠٩–١٢٧ .

(٤) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص١٤٠ .

(٥) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص١٤٠ .

(٦) حوصرت الحامية البريطانية في الكوت لمدة خمسة أشهر ابتداءً من كانون الأول عام ١٩١٥ حتى أواخر نيسان عام ١٩١٦ . وكانت القوات البريطانية بقيادة الجنرال تشارلس طاونزند (General C. Townshend) قد اضطرت إلى الانسحاب إلى الكوت بعد هزيمتها في معركة سلمان باك ، في طريق تقدمها لاحتلال بغداد . للتفاصيل ينظر : F. W. G. Sandes , In Kut and Captivity (London : N. P , 1919) ; Ronald Miller , Kut : The death lf An Army (London : Seckerand Warbury , 1969) .

(٧) قدم اقتراح الدخول في المفاوضات من قبل الجنرال طاونزند على أساس " الوعد الصادق " ، على ان تغادر القوة المحاصرة ميدان القتال وتتعهد بان لا تحارب العثمانيين حتى نهاية الحرب ، مقابل التنازل عن الأسلحة الثقيلة وتقديم مبلغ مليون جنيه ذهبي زيدت فيما بعد إلى مليوني جنيه . ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٦٤ .

(8)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.88 .

(9)John Presland , Op. Cit. , P.251 .

(١٠) عندما كلف لورنس بهذه المهمة ، لم يكن ضمن كادر المكتب العربي بشكل رسمي ، بل كان يعمل ضمن طاقم مكتب استخبارات القاهرة ، في قسم الخرائط . ينظر : . Bruce Westrate , Op. Cit. , P.88 .

(11)John Presland , Op. Cit. , P.251 .

(١٢) حسام علي محسن المدامغة ، لورنس والقضية العربية ١٨٨٨ – ١٩٣٥ ، (دمشق دار الأوائل للنشر والخدمات الطباعية ،

٢٠٠٤) ص ٤٩ .

(١٣) فيليب نايتلي وكولن سمبسون ،المخفي من حياة لورنس العرب ، ترجمة : ايلي لاوند وابراهيم العابد ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧١ ص ٥٢. ومن الجدير بالذكر ان لورنس صرح بذلك لكاتب سيرته ليدل هارت (Liddle Hart) بقوله : " لقد وضعت الغرنادوق نيقولاس (Grand Duke Nicholas) [قائد القوات الروسية] على تماس مع بعض الضباط العرب المتمردين في ارضروم [...] لذلك ، فأن مجلس الحرب اعتقد بأني سأفعل الشيء نفسه في بلاد الرافدين . ينظر : Ronald Miller , Kut : The death lf An Army , (London : Seckerand Warbury , 1969), P.252 .

(١٤) باسل سليمان فيضي (تحقيق وتقديم) ، مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق ، (بغداد : مطبعة الأديب البغدادية المحدودة ، ٢٠٠٠) ؛ سليمان موسى ، الحركة العربية ... ، ص١٦٦ .

(١٥) فيليب نايتلي وكولن سمبسون ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(16)Briton Cooper Busch , Britain , India , and the Arabs 1914-1921 , (Berkeley : University of California press , 1971). , P.102 .

(١٧) بوندرافسكي ، سياستان إزاء العالم العربي ، ترجمة : خيري الضامن ، (موسكو : دار التقدم ، ١٩٧٥) ، ص٨٥ ؛ وميض جمال عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ : الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية الاستقلالية في العراق ، ط٢ ، (بغداد : المكتبة العالمية ، ١٩٨٥) ، ص١١٠ .

(18)Lady Francis Bell , Op. Cit. ,Vol.1 , P.372 ;

(19)Malcolim Brawn , Op. Cit. , P.83 .

(٢٠) نقلاً عن : ريتشارد الدنجتون ، لورانس في البلاد العربية ، ترجمة: محمد عزت موسى ، (القاهرة : الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦) ، ص١٥٢ .

(21)T. N. A. , F.O. , 882/15 , PNA 16/2 , Lawrence to Intrusive , 8 April 1916 ;

سليمان موسى ، الحركة العربية سيرة المرحلة الاولي للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨– ١٩١٤ ،(بيروت دار النهار للنشر ، ١٩٧٠) ، ص١٦٦–١٦٧ .

(22)Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.124 ;

حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٦٧–٥٦٨ .

(23)Elizabeth Monroe , Philpy of Arabia , (London : Faber and Faber , 1973), P.52 .

(24)H. V. F. Winston , Gertrude Bell , P. 176 ;

وينظر أيضاً : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٦٤–٥٦٥ ؛ منتهى عذاب ذويب برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية ، ريالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص٧٢.

(25)Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.103 .

(٢٦) سحر عباس خضير ، المصدر السابق ، ص٥١ .

(27)Philpe Graves , The Life of Sir Percy Cox , (London : N. P. , 1941) , P.199

حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٦٤–٥٦٥ .

(28)Quoted in : T. N. A. , F.O. 882/15 , PNA 16/2 , Lawrence to Intrusive , 8 April 1916 ; Philpe Graves , Op. Cit. , P. 200-201 ;

باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص٢١٨ .

(٢٩) هنري كونوي روبرت دوبس (١٨٧١–١٩٣٤) : ولد بلندن ، وتلقى تعليمه بجامعة أكسفورد ، دخل الحياة العملية

سكرتيراً في حكومة الهند البريطانية للمدة من ١٨٩٦ حتى عام ١٩١٤ ، شارك في الحملة البريطانية على بلاد مابين النهرين وأشرف على شؤون الواردات ، والتعليم ، والأوقاف . تولى منصب المندوب السامي للعراق عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٩ . للتفاصيل ينظر : انعام علي مهدي السلمان ، أثر هنري دوبس في السياسة العراقية ١٩٢٣-١٩٢٩ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧ ؛ وكذلك بشأن وساطة هنري دوبس في الخصومة بين لورنس وبرسي كوكس ينظر : المصدر نفسه ، ص٣١ .

(٣٠) حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

(٣١) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٦٧ .

(٣٢) باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص٢٢٩ .

(٣٣) سليمان فيضي (١٨٨٥-١٩٥١) : حقوقي وأديب ولد بالموصل ، وتعلم بالأعدادية العسكرية ببغداد ، أصدر جريدة الايقاظ في البصرة عام ١٩٠٩ ، وانتخب عام ١٩١٤ نائباً عن البصرة في مجلس المبعوثان العثماني ثم عمل مدرساً في مدرسة الحقوق ببغداد للمدة من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٢ . وفي عام ١٩٣٥ أصبح عضواً في محكمة استئناف بغداد ، ثم نائباً عن البصرة في مجلس النواب العراقي . للتفاصيل ينظر : خولة طالب لفته ، سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق ١٨٨٥-١٩٥١ ، (بغداد : مطبعة الأديب ، ٢٠٠٣) .

(٣٤) نشرت الباحثة خولة طالب لفته أمر استدعاء سليمان فيضي إلى دائرة الاستخبارات العسكرية في العشار ، وكان ذلك عام ١٩٩٨ في رسالتها للماجستير عن سليمان فيضي . ينظر : المصدر السابق ، ص٢٧٧-٢٧٨ ، والملحقان ٤ و ٥ . ثم نشر باسل سليمان فيضي الوثيقة نفسها التي نشرتها الباحثة أعلاه في تحقيقه لمذكرات والده عام ٢٠٠٠ . ينظر : المصدر السابق ، ص٢٣٦-٢٣٩ .

(٣٥) نقلاً عن : باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص٢٢٩ .

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص٢١٩ .

(٣٨) باسل سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص٥٧٠ .

(٣٩) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص٢١٩ .

(٤٠) ارنلد تي ولسن ، بلاد مابين النهرين بين ولائين ، ط٢ ، تعريب : فؤاد جميل ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩١) ، الجزء الأول ، ص٢٠٩ .

(٤١) ارنلد تي ولسن ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٩ ؛ Peter Hopkirk , Like Hidden Fire : The Plot to Bring Down The British Empire (London : John Murray , 1994) , P.215

(42)Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.102-105 ; Russell Braddon , Op. Cit. , P.250 ; سليم طه التكريتي ، استسلام الحامية الانكليزية في الكوت، آفاق عربية ، بغداد ، العدد الثالث ، تشرين الثاني ١٩٧٧ ، ص٥٣.

(43)Peter Hopkirk , Op. Cit. , P.216 ;

حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

(44)Malcolm Brawn , Op. Cit. , P.83 .

(45)Ronald Miller , Op. Cit. , P.276 .

(46)Ibid .

(٤٧) عبد المنعم الناصر ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

ويورد جعفر الخياط في أحدى توضيحاته على كتاب فصول من تاريخ العراق القريب للمس بيل ، قائمة طويلة باسماء من أعدمهم خليل باشا من أهالي الكوت . ينظر : المصدر المذكور ، (بيروت : د.ن ، ١٩٧١) ، ص١٠١-١٠٢ .

(48)Quoted in : Ronald Miller , Op. Cit. , P.276 .

(٤٩) حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٥٠) كاظم هاشم نعمه ، فيصل الأول والانكليز والاستقلال ، ط٢ (بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٨) ، ص١٦ .

(51)Hubert Young , The Independent Arab , (London : Jhon Murray , N.D) . , P.72

(52)Ronald Miller , Op. Cit. , P.276 .

(٥٣) عبد المنعم الناصر ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

(54)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.89 .

(55)H. V. F. , Winston , Gertrude Bell , P.176 .

(56)Ibid. , P.178 .

(57)H. V. F. , Winston , Gertrude Bell , P.177 .

(58)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.90.

(59)T. N. A. , F. O 882/13 , MES 16/6 , Bell to Hogarth , 20 My 1916 ;

وكان من نتيجة الشكوك ان عمد برسي كوكس في شهر أيلول ١٩١٦ إلى نقل المس بيل للعمل في المكتب السياسي بصفة " مساعد ضابط سياسي " . وكانت بيل ترى ان منحها هذا المنصب كان بدافع إحكام السيطرة على نشاطاتها . ينظر : اليزابيث برغوين ، جيرترودبيل : من أوراقها الشخصية ١٩١٤-١٩٢٦ ، ترجمة : نمير عباس مظفر ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٢) ، ص١١٦ .

(60)Jhon Charmley , Lord Lioyd and the decline of the British Empire , (London : Weidefeld and Nicolson , 1986), Op. Cit. , P.16;

(61)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.86.

(62)Ibid. , P. 88 .

(63)T. N. A. , F. O. 882/6 , HRG 16/8 , Report by George Lloyd , 1916 , P.3 .

(64)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.88.

(٦٥) اليزابيث برغوين ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

(٦٦) نقلاً عن : ارنلد تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص٣٠٧ .

(67)John Sharmely , Op. Cit. , P.53.

(٦٨) ارنلد تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص٣٠٧ .

(٦٩) ديفيد فرومكين ، سلام م ابعده سلام : ولادة الشرق الأوسط ١٩١٤ – ١٩٢٢ ، ترجمة : اسعد كامل الياس ، (بيروت : دار رياض الريس للكتب والنشر ، ١٩٩٢) ، ص٣٤١ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص٣٤١-٣٤٢ .

(٧١) ستانلي مود (١٨٦٤-١٩١٧) : قائد عام بريطاني في بلاد مابين النهرين للمدة من ١٩١٦-١٩١٧ ، اختير من قبل رئيس هيئة الأركان العامة الإمبراطورية كقائد للقوات البريطانية في بلاد مابين النهرين في آب عام ١٩١٦ لتفادي إحراج القوات البريطانية في الكوت . توفي في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩١٧ نتيجة لإصابته بمرض الهيضة (الكوليرا)

. ينظر : J. M. Bourne , Op. Cit. , P. 199 .

(٧٢) للاطلاع على على نصّي بيانّي مارك سايكس وبرسي كوكس ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٧٦-٥٧٨ .

(73)Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P.136 ;

حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٧٦ .

(٧٤) يلاحظ ان حكومة الهند البريطانية كانت تخطط لذلك حتى قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ففي آذار عام ١٩١٤ كتب ارنولد ولسن مبيناً ضرورة ضم بلاد مابين النهرين بوصفها مستعمرة لحكومة الهند البريطانية ، لكي تقوم بإدراتها وزراعة سهولها الواسعة بالتدريج وتوطين أجناس من سكان البنجاب المحاربين فيها ، ونظراً لذلك أقدمت تلك الحكومة ايضاً على إصدار قانون المناطق العراقية المحتلة في ١ آب عام ١٩١٥ (Iraq Occupied Territorien Code 1915) ، كما أدخلت العملة الهندية "الروبية" في التعاملات الاقتصادية ، واستخدمت نظام للشرطة على غرار ما مطبق في الهند ، كما وضعت نظام دعاوى العشائر الجزائية والمدنية في شباط عام ١٩١٦ والذي كتبه هنري دوبس. ينظر : ابراهيم خليل العلاف ، ثورة ١٩٢٠ الوطنية القومية في العراق ، بحث منشور في كتاب : المفصل في تاريخ العراق ، (بغداد : بيت الحكمة ، ٢٠٠٢) ، ص١٩٣ ، ١٨٥-١٨٧ ؛ فاضل الربيعي ، ما بعد الاستشراق : الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٧) ، ص٦٩ .

(٧٥) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٧٨ .

(٧٦) ديفيد فرومكين ، المصدر السابق ، ص٣٤٢ .

(٧٧) ارنلد تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص٣٣ .

(78)Bruce Westrate , Op. Cit. , P.155.

(79)Philpe Graves , Op. Cit. , P.218 ;

غسان العطية ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ .

(80)T. N. A. , F. O 882/18 , Tu 17/5 , Telegram from Arbur Cairo to Arbur Baghdad , No.975 , 16 July 1917.

(٨١) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص٢١٢ .

(٨٢) في شباط عام ١٩١٧ سقط النظام القيصري في روسيا بسبب فشله في إدارة الحرب ، وألفت حكومة مؤقتة فيها برئاسة كيرنسكي ، لكنها قررت الاستمرار في الحرب إلى جانب دول " الوفاق الودي " ، لهذا ساعد الأمان لينين من أجل العودة إلى روسيا ، وكان الأخير من الداعين لإنهاء الحرب ، وتمكن في ٢٦ تشرين الأول عام ١٩١٧ من إسقاط الحكومة المؤقتة ، وفي اليوم نفسه أعلن مرسوم السلام الذي دعا فيه الحكومات والشعوب إلى سلام عادل ، وفي آذار عام ١٩١٨ ، وعلى الرغم من عدم استجابة الحلفاء لدعوته وقعت حكومته اتفاقية بريست ليتوفسك مع ألمانيا ، وخرجت بذلك روسيا السوفيتية من الحرب . للمزيد من التفاصيل ينظر : جورج سكولوف ، روسيا بين ١٨١٥-١٩٩١ ، ترجمة : انطوان حمصي ، (دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٩٩) ، الجزء الأول ، القسم الثاني ، ص٣١٦-٣٢٩ .

(٨٣) اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية موقف الحياد من الحرب العالمية الأولى حتى نيسان عام ١٩١٧ حينما قررت الدخول فيها مدفوعة بأسباب عدة منها أقدام الحكومة الألمانية على استئناف حرب الغواصات في كانون الثاني عام ١٩١٧ ، واندلاع الثورة الروسية في آذار من العام نفسه مما نتج عنها انسحاب موسكو من الحرب . للتفاصيل ينظر : رياض الصمد ، المصدر السابق ، ص٥٢-٥٥ .

(٨٤) نقلاً عن : غسان العطية ، المصدر السابق ، ص٢١٥-٢١٦ .

(٨٥) نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص٢١٦ .

(٨٦) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٩٠ .

(٨٧) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص٢١٦ .

(٨٨) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٩٢-٥٩٣ .

(89)Philpe Graves , Op. Cit. , P.239 ; Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P. 156 ;

منتهى عذاب ذويب ، المصدر السابق ، ص١١٤ .

(٩٠) اللجنة الشرقية : هي نتاج دمج أكثر من لجنة كانت الحكومة البريطانية قد ألفتها ، مثل اللجنة الإدارية لبلاد مابين النهرين ، التي دمجت مع لجنة وزارة الخارجية المعنية بشؤون روسيا ، واللجنة البيدائرية (Interdepartmental Committee) المشتركة المعنية بشؤون إيران . وتمت عملية الدمج هذه في شهر آذار عام ١٩١٨ تحت اسم اللجنة الشرقية (Eastern Committee) ، وعهد برئاستها إلى اللورد كررزن . ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٢٣٧ .

(٩١) حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص١٣٥ .

(92)Timothy J. Paris , Britain , The Hashmites and Arab Rule 1920-1925 : The Sherifian Solution , (London : Frank Cass , 2003) .. , P.52 .

(93)T. N. A. , F. O. 371/4178 , 3503 , Telegram from Political Baghdad to Secertary of State for India , No. 10250 , 18 November 1918 ;

وكان لورنس قد وضع هذه المقترحات على خارطة قدمت إلى اللجنة الشرقية ، وقد حفظت في المتحف الحربي البريطاني ولم يفرج عنها الا في عام ٢٠٠٦ . ينظر الملحق رقم (١٢) .

(٩٤) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٩٥) كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

(96) ارنلد تي ولسن ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص٣٥٤-٣٥٧ ؛ حسام علي محسن المدامغة ، المصدر السابق ، ص١٣٦؛Briton Cooper Busch , Op. Cit. , P. 158 .

(97)Ernest Main , Op. Cit. , P.63 .

(٩٨) غسان العطية ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٩٩) نصت المذكرة على تشكيل حكومة تدار من قبل المندوب السامي البريطاني ، بمساعدة مجلس وزراء يتكون نصفه من العراقيين ، والنصف الآخر من البريطانيين مع انتخاب هيئة استشارية مكونة من بعض الشخصيات العراقية المرموقة تكون مهمتها تقديم المساعدة للحكومة المقترحة . ينظر :

T. N. A. , F. O. 371/4148 , 4363 , Eastern Committee , Secret Miuntes of a meeting held at 1 , 27 November 1918 ;

وللمزيد من التفاصيل عن مذكرة برسي كوكس إلى اللجنة الشرقية والتي كانت بعنوان : "مستقبل بلاد مابين النهرين" . ينظر : حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص٥٩٤-٥٩٨ .

(١٠٠) كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ، ص٥٠ ؛ ومن الجدير بالذكر ان هذا الموقف تغير في المدة التالية ، فقد أيد ولسن ترشيح الملك فيصل لعرش العراق ، وبرر موقفه هذا بأن بقاء فيصل في درعا ، بعد خروجه من سورية ، سيثير اضطرابات مستمرة ضد الفرنسيين ، فضلاً عن معارضته تنصيب الأمير عبد الله لعرش العراق . ينظر : نجدة فتحي صفوت ، عرش يبحث عن ملك ، آفاق عربية ، بغداد ، العدد الثاني عشر ، آب ١٩٧٨ ، ص١٤-١٥ .

(١٠١) كاظم هاشم نعمة ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

(102)Op. Cit. , P.63 .